التسوية السياسية والنهوض العربي

الدكتور نديم البيطار

قبل كل شيء اريد أن أؤكد انني شخصيا لا اعتقد ان الحل السلمي ممكن بأي شكل أو وجه . ان القتال فقط هو القدر المفروض علينا تجاه احتلال فلسطين ، وأن العلاقة الوحيدة الممكنة بيننا وبين الصهيونية هي علاقة حرب وحرب فقط . أقول هذا في ضوء قناعة تعتمد تجارب التاريخ قاعدة لها. فمن هذه التجارب يمكن لنا أن نصل الى استنتاج عام فيما يتعلق بموضوعنا .

الوصول الى تسوية ممكن عندما يشارك الاطراف المتحاربون في مفهوم متماثل عن مجرى الحرب ، والاهداف التي تسعى اليها . فعندما تكون التضحيات والتنازلات التي يرقبها كل طرف من الآخر تضحيات وتنازلات محدودة يسهل انهاء حالة الحرب ، ويكون بامكان الطرف الذي يشعر بالخسارة أن يطالب بوقف القتال واحلال السلم . ولكن عندما تكون الاهداف غير محدودة ، وخصوصا ان كانت من النوع الذي يعني القضاء على كيان أو وجود الخصم القومي ذاته ، فان الحرب تصبح كلية ، هدفها القضاء التام على الخصم ، على قواه ومقاصده ، او حتى ازالته ، ويستحيل عندها اجراء تسوية ، مصالحة ، او معايشة .

في حربنا مع اسرائيل لا توجد ابدا اية صلة بعيدة أو قريبة ، بين المقاصد العربية والمقاصد الصهيونية . هذا يعني أن ليس هناك أية ارضية مشتركة ابدا لأية مصالحة أو سلم . عندما تكون علاقة الطرفين المتحاربين من هذا النوع ، عندما يستحيل على أي طرف قبول تحديد الآخر للوضع ، أو مفهومه عن الصلح أو المعايشة ، فان أي حل سلمي نهائي يصبح مستحيلا . وكل كلام أو حديث عن سلم ممكن يمسي اقصوصة او مناورة تكتيكية لكسب الوقت .

الاطراف المعنية قد تقبل بانهاء المعركة عندما ترى ان متابعة القتال لا تحقق مقاصدها ، او ان تحقيق هذه المقاصد يتطلب ثمنا باهظا هي غير مستعدة لتأديته،او ان المواظبة على القتال أقل فائدة وقبولا من السلم . ففي جميع هذه الاوضاع ، يرفض المتقاتلون قبول الهزيمة وان كانوا يقبلون بوضع لا يمثل نصرا نهائيا ، هنا قد يضطر هؤلاء الى استقصاء امكان تسوية .

ان نحن نظرنا الى القوى والمقاصد التي تحدد المعركة بيننا وبين اسرائيل نجد أنها تنفي جميع هذه الاوضاع التي تسمح بتسوية أو سلم . فالطرف العربي ، وان هزم في حزيران ، يرى أن امكانات وطاقات متابعة المعركة الى أجل غير محدود متوفرة له ، ولكنها لا تتوفر للصهيونية ، كما ان المقاصد التي يريدها هي مقاصد لا تمكن المساومة عليها ابدا وباي شكل كان لانها ترتبط اساسيا وقبل كل شيء بالوجود القومي ذاته ، بأن يكون او ان لا يكون ، وليس بتصحيح حدود هذا الوجود او تحديد علاقته بوجودات قومية أخرى . الصهيونية تدرك هذا ، تعيه وتنطلق منه ، ولذلك تحيل عليها الاقتناع